محاولات التصفية الجسدية لأولي العزم من الرسل (دراسة موضوعية)

أ. م. د. أحمد خضير عمير
الجامعة العراقية

ملخص البحث

يهدف البحث الى الايضـــاح بالأدلة والبراهين القرآنيـــة ان العداء بين الحـــق والباطل ازلي قديم، وان الحياة موقف مع الله، او مع الشـــيطان، لذلك اردت ان ابرز هذا الصراع وتأييد الله للحق، وخذله للباطل مهما تبجّح وعلا صياحه وتهديده، ووعيده، لذلك اردت ان ابيّن كيف تعرض اولو العزم الكرام من الرســـل الى التصفيـــة الجســـدية، وكيف كان ثباتهم وتأييد البـــاري لهم، فكانوا منـــارات هادية في ليل البشريـــة الطويل لنصرة التوحيد على الكفر والشرك والنفاق.

Research Summary:

The research aims to clarify the Qur'anic evidence and proofs that the enmity between truth and falsehood is eternal, and that life is a situation with God, or with the Devil. Therefore, I wanted to highlight this struggle and God's support for the truth, and his failing of the false no matter how bragging, shouting, shouting, threatening, and promising, so I wanted to show how The Ulus were subjected to the honorable resolve of the Apostles to physical liquidation, and how their steadfastness and the support of Al-Bari were to them, so they were guiding beacons in the long night of humanity to support monotheism over unbelief, polytheism and hypocrisy.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين نبينا محمد الصادق الوعد الأمين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد؛ فإنَّ أفضل ما يَشغل الانسان به وقتَه، هو العيشُ مع كتاب الله الكريم، قارئا ومتدبرا، وناظرا ومتأملا، ومتعظا ومعتبرا، ينهل من منهله، ويستنير بأنواره، ويهتدي بهديه، ويلتزم بأحكامه، ويدعو إلى الله تعالى على وفق أساليبه.

لذلك كان البحث فيه، بدراسة آياته، واستنباط معانيه وأحكامه أشرف مهنة يقوم بها المسلم، وموضوع ذلك كله علم التفسير، فهو أشرف العلوم؛ لاختصاصه بالقرآن الكريم.

ان المسلم اليوم يعيش بلا شك في بحر متلاطم من الفتن، الظاهرة والباطنة، كقطع الليل المظلم، تدَعُ الحليمَ حيرانَ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: (سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)[1].

اهمية الموضوع: تكمن في الحاجة الماسة الى ابراز واظهار ما تعرض له اولو العزم من الرسل، من محاولات للتصفية الجسدية من خلال الايات التي تحدثت عن ذلك، لكي تكون نبراسا للسالكين في طريق الحق.

سبب اختيار الموضوع: اردت ان اوضح بالادلة والبراهين القرآنية ان العداء بين الحق والباطل ازلي قديم، وان الحياة موقف مع الله، او مع الشيطان، لذلك اردت ان ابرز هذا الصراع وتأييد الله للحق، وخذله للباطل مهما تبجّح وعلا صياحه وتهديده، ووعيده، لذلك اردت ان ابيّن كيف تعرض اولو العزم الكرام من الرسل الى التصفية الجسدية، وكيف كان ثباتهم وتاييد الباري لهم، فكانوا منارات هادية في ليل البشرية الطويل لنصرة التوحيد على الكفر والشرك والنفاق.

خطة البحث: اقتضت خطة البحث أن تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وكما يأتي:

المبحث الأول : التعريف باولي العزم من الرسل، وفيه ثلاثة مطالب .

المبحث الثاني: الدوافع الحقيقية لتصفيتهم، وفيه اربعة مطالب.

المبحث الثالث: اقدام الكافرين على قتل اولي العزم من المرسلين، وفيه خمسة مطالب.

---

(١) الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت-٢٥٦) : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ط٣ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ١٣١٨/٣ ، برقم ٣٤٠٦.

ثم ختمت بحثي بخاتمة بينت فيها اهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا إن الحمد الله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه اجمعين.

* * *

تمهيد

- **أولو العزم:**

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأَحْقَاف الآية ٣٥] .

قال ابن عباس: هم ذوو الحزم والصبر، وقال مجاهد: هم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام[1]. فكلمة العزم تعني القوة والشدة والصلابة في تحمل المصائب والمشاق ، فالرسل -عليهم السلام- كلهم قد عانوا ماعانوا في تبليغ رسالتهم او اداء مهمتهم، او حق ممارسة العبادة في شرائعهم ، ولكن هناك مجموعة من الرسل الكرام ورد ذكرهم في القرآن في اماكن متعددة، وردت قصصهم في اكثر من سورة بقدر من التوسع والتفصيل، لأنهم تحملوا من الاعباء اكثر من غيرهم ، وقدموا كثيراً من التضحيات وتحملوا كثيراً من الوان العذاب والاضطهاد، وكان منهم اولو العزم من الرسل.

* * *

(١) ينظر: تفسير القرطبي، ١٦/ ٢٢٠

المبحث الأول

التعريف باولي العزم من الرسل

- **المطلب الاول: اول المرسلين وابو الانبياء**

أولا: نوح (عليه السلام) :

هُوَ نُوحُ بْنُ لَامَكَ بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش ابن شيثَ بْنِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ مَوْلِدُهُ بَعْدَ وَفَاةِ آدَمَ بِمِائَةِ سَنَةٍ وَسِتٍّ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وروى ابو سلام قال : سمعت أبا أمامة أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال نعم مكلم، قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون[١] ، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم، وبالجملة فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة، وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جبير وغيره، واختلفوا في مقدار سِنّه يوم بعث، فقيل كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة[٢].

لبث في قومه يدعوهم الى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ [العَنكَبُوت الآية ١٤]، وكانت شريعته التوحيد والصلاة والصيام والحج ومجاهدة أعداء الله من ولد قابيل، وأمر بالحلال ونهى عن الحرام، ولم يكن فرضت عليه أحكام ولا مواريث ولا حدود، وأمر أن يدعو الناس الى الله تعالى، ويحذرهم عذابه، ويذكرهم آلائه.[٣]

ثانيا: ابراهيم (عليه السلام) :

هو إِبْرَاهِيمُ بْنُ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ بْنِ شَرْوَغَ بْنِ أَرْغُو بْنِ فَالَغَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِخَ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لَمَّكَ بْنِ متشالخ بن خنوخ، وهو إدريس بْنُ يَارَدَ بْنِ مِهْلَاِيلَ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثَ

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط : مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م باب ذكر ما كان بين ادم نوح، رقم الحديث (٦١٩٠) : ٦٩/١٤ .

(٢) البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م : ١٠١/١ .

(٣) أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، : ١٤١٦هـ-١٩٩٦م : ٨٠/١ .

بْنِ آدَمَ.[١]

وكان مولــده في زمن النمرود بــن كنعان، وهو فيما قيل الضحاك الملك المشــهور الذي يقال إنه ملك ألف سنة وكان في غاية الغشم والظلم، وذكر بعضهم أنه من بني راســب الذين بعث إليهم نوح عليه الســلام، وأنه كان إذ ذاك ملك الدنيا.وذكروا أن طلــع نجم أخفى ضوء الشــمس والقمر، فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود. فجمع الكهنة والمنجمين وســألهم عن ذلك فقالوا، يولد مولود في رعيتــك يكون زوال ملكك على يديه، فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء، وأن يقتل المولودون من ذلك الحين فكان مولد إبراهيم الخليل في ذلك الحين، فحماه الله عز وجل، وصانه من كيد الفجار، وشب شبابا باهرا وأنبته الله نباتا حسنا حتى كان من أمره ما تقدم وكان مولده بالسوس، وقيل ببابل وقيل بالسواد من ناحية كوثى[٢] .

- **المطلــب الثاني: اولــو العزم من بنــي اسرائيل (عليهما السلام)**

أولا: موسى (عليه السلام):

هو موسى بــن عمران بن يصهــر بن قاهث بن لاوي بــن يعقوب بن إســحق بــن إبراهيم عليهم السّلام جميعاً، فهو يرجع في نسبه إلى إبراهيم عليه السّــلام، واســم أمّه أيارخا، وقيل أياذخت، وقيل يوحانــد، وقيل بادونا، أما اســم امرأته فهو صفورا بنت شــعيب -عليه السّلام-[٣]، ثبت أن موسى عليه السّــلام ولد في مصر، وكان ذلــك عام ١٥٢٦قبل الميلاد تقريباً، أي بعد ولادة إبراهيم - عليه السلام- بأربعمئة وخمس وعشرين ســنةً تقريباً، نشأ موسى -عليه السّــلام- وتربىّ في قصر فرعون، حتى خرج من مصر هارباً بعد أن قتــل رجلاً من بني إسرائيل بالخطــأ. أما عن نجاته من القتــل فقد ألهم الله أمّ مُــوسى أن ترضعه ثــم تُلقيه في البحــر، فأصبح موسى في يد زوجــة فرعون وكانت عاقراً، فوجدته ابناً مناســباً لها، وطلبت من فرعــون أن يُبقيه فقبل عرضها، قال تعــالى: ﴿وَأَوْحَيْنَــآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيــهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَــلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَــهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القَصَــص من الآيــة ٧ الى الآية ٨] وعــاش موسى في قصر

(١) تاريخ الإســلام وَوَفيات المشــاهير وَالأعلام: شمس الدين أبــو عبد الله محمد بن أحمد بــن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: الدكتور بشــار عوّاد معــروف، الناشر: دار الغرب الإســلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م : ٤٨١/١ .

(٢) البداية والنهاية : أبو الفداء إســماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: علي شــيري، دار إحيــاء التراث العــربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م : ٢٠٠/١ .

(٣) الكامــل في التاريــخ، عز الدين ابن الأثــير ، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٥٠/١.

فرعــون كريماً مُنعَّماً حتى انهم كانــوا يُنادونه بابن فرعــون[١] عانى موسى من قومه أيمــا معاناة، وقد بدأت معاناته بتكذيب فرعون له، وإنكاره لرسالته، ورفضه الرضــوخ لدعوة موسى، وقد عرض موسى -عليه الســلام- ما يُدلّل على صــدق ما جاء به من النبوة، فاتّهمه فرعون بالســحر، كما وصفه بالمكر والخديعة لمّا انتــصر على سَــحَرته، وأمر بقتلهم جميعاً، ولم يُصــدِّق فرعون موسى بشيءٍ مما جاء به، بل ازداد كفراً وطغياناً إلى كفره، وبدأ يسخر من موسى ودعوته، قال تعــالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَــلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰــهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القَصَص من الآية ٣٨ الى الآية ٣٩] ،[٢] لكن موسى عليه الســلام واجه كل ذلــك بقلب مؤمن متوكل على الله حتى جاءه نصر الله. .

ثانيا: عيسى (عليه السلام):

وُلِد ســيدنا عيسى عليه السلام من أمٍ بلا أب، إذ أمر الله تعالى سيدنا جبريل عليه السلام أن ينزل الى الارض، ويأتي مريم العذراء عليها السلام على هيئة بشر، ثم ينفخ في جيب درعها، فولجت النفخة في فرجها فحملت بإذن الله، ثم تولى الله خلق وتنشئة عيسى عليه الســلام، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَــآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأَنبِيَــاء الآية ٩١] ، فإضافة الروح اليه تعالى لتشريف عيسى عليه الســلام بهذه الخاصية العظيمة[٣].

وامّــه: مريم بنت عمران، بن ماثان بن العازر بن اليــود بن اخبر بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن ايبود بن زربابيل بن شــالتال بن يوحينا بن برشا بن امون بن ميشا بن حزقيا بن احاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشــافاط بن ايشا بن ايبا بن رحبعام[٤] بن سليمان بن داود عليه السلام[٥]. وآخرُ أنبياء بني إسرائيل؛ نسبه هو نسب أمه لأنه مولود من غير أب، والنّبي عيسى عليه السّلام معجزةً وآيةً من آيات الله

(١) دعوة الرســل عليهم الســلام ، أحمد أحمد غلوش ، (الطبعة الأولى)، بيروت: مؤسســة الرسالة، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٧. بتصرّف..

(٢) سورة القصص، الآيتين : ٣٨-٣٩ .

(٣) ينظر: تفســير القرآن العظيم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) ، تحقيق: أسعد محمد الطيب: ٢٢/ ١٨٣ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبــد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدّين النســفي (ت: ٧١٠هـ) ، تخريج وتحقيق: يوسف علي بديوي: ٤١٩/٢ .

(٤) وهذه اســماءٌ بالعبرية، وهي أسماء لبني إسرائيل، كما ورد في نســب كل من نوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والســلام . ينظر: نظم الدرر في تناســب الآيات والسور: لإبراهيــم بن عمر بن حســن الرُّبَاط بن عــلي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ): ج١٩٠/٢ ، ٢٧٢/١٤.

(٥) البدايــة والنهاية: ذكر ذلك ابن كثير عن ابن عســاكر رحمهما الله تعالى: ٦٧/٢ .

تعالى، فقد جاء عيسى عليه السّـلام من أمّ من دون أب وهي مريـم الصدّيقة؛ اذ كانـت البداية عندما بعث الله جبريل -عليه السّلام- ليخبر مريم بأمر من عند الخالق سـبحانه في خلق عيسى فاستسـلمت مريم لأمر اللـه تعالى وفي قلبها خشـية من كلام النّاس وما سـيقولونه عندما يرونهـا تحمل طفلاً، فثبّتها الله سـبحانه وربط عـلى قلبها وأوحى إليها أن لا تكلّم النّاس حتّى يكلّمهم عيسى عليه السّلام وهو في المهد، وعندما أتت قومها تحمل رضيعها بدأت ألسـن النّاس تنال منها فأشارت إلى رضيعها فظـنّ القوم أنّها تسـتهزئ بهـم؛ إذ كيف يكلّمون طفلاً رضيعًا لا يزال في مهده، فانطلق لسان الطّفل عيسى في آيةٍ مبهرة مـن ربّ العالمين ليخبر القوم أنّه عبد الله ونبيّه الذي أتاه الكتاب وأوصاه بالصّلاة والبرّ وحسن الأخلاق.وبقي عيسى يجاهر بدعوته ويـدل بني إسرائيل على الله ويأمرهم بالاسـتقامة ويبين فساد طريقهم إلى أن ضاقوا به ذرعًا، فاجتمع عظماء اليهود وأحبارهم فقالوا: إنا نخاف أن يفسد علينا ديننا، ويتبعه النـاس، فقال لهم قيافا – رئيس الكهنة: لأن يمـوت رجل واحد خير من أن يذهب الشـعب بأسره، فأجمعوا على قتله، فسعوا به لدى الحاكـم الروماني، وزينوا له شـكواهم منه، وربما صوروا له دعوة عيسى الدينية بصورةٍ سياسـيةٍ تريد تقويض الحكم القائم، وزعموا له أن عيسى يسعى لأن يكـون ملكًا على اليهود، وينـادي بذلك، وما زالوا بالحكم حتى حملوه على أن يقرر أن يتخلص من عيسى عليه السلام بقتله وصلبه، على طريقتهم التي كانوا يفعلونها فيمن يحكمون عليه بالقتل[١] .

- **المطلب الثالث: رسول الله وخاتم النبيين ﷺ**

كان رسـول الله أشرف الناس نسـباً وأعظمهم مكانـةً وفضلاً، فهـو محمد بن عبـد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بـن معد بن عدنان[٢]، وقد تزوّج والد النبي عبد الله من آمنة بنت وهب، ووُلد النبي -عليه الصلاة والسلام- يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيـع الأول من عام الفيل، وهـو العام الذي توجّه فيـه أبرهة لهدم الكعبـة، إلّا أنّ العرب تصدّت له، وأخبره عبد المطلّب بـأنّ للبيت ربٌّ يحميه، فقدم أبرهة مع الفيلة، فأرسـل عليهـم الله طيوراً تحمل حجارةً من نـارٍ أهلكتهم، وبذلك حمى الله البيت من أي أذى،[٣] وقد توفي والده وهو حملٌ في بطن أمه على الصحيح من أقوال العلماء، فوُلد الرسـول يتيـماً، قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضُّحَى الآية ٦] [٤].

(١) العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة ص٤٣٨ .
(٢) تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، (الطبعـة الرابعة عـشر)، الكويت: دار البحوث العلمية، ص ١٧ .
(٣) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص٢٦ .
(٤) اللؤلؤ المكنون في سـيرة النبـي المأمون ، موسى بن

وتوفيّ عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين، الثاني عشر من شـــهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة النبوية، ذلك بعد مرضه واشتداده عليه. [1]

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني

الدوافع الحقيقية لتصفيتهم

• **توطئة**

ان مما لا شك فيه ان الصراع بين الحق والباطل، والنـــور والظلمات أمر طبيعي لا بـــد منه منذ خلق الله الدنيا، وبدأ بين إبليس، وآدم عليه السلام، وهو حقيقة لا يمكن تجاهلهـــا، فالباطل والحق ضدان لا يجتمعـــان، فيحـــاول أهل الباطـــل القضاء على أهل الحق بشتى الوسائل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يوَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ [البَقَرَة الآية ٢١٧]، ومقابل ذلك أن الحق لا يرضى بالباطل ولا يتعايش معه، ويحاول القضاء عليه بكل الوسائل، قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ [الأَنبِيَاء الآية ١٨].

ولو اســـتقرأنا مصدر الصراع بين الحق والباطل لوجدنا أن مصدره هو التحالف القائم بين شياطين الإنس وشـــياطين الجن، وهذه حقيقـــة صرّح بها القران في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِـــكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَـــيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُـــوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ [الأَنْعَام الآية ١١٢].

قال البقاعي: (ولما كان مضمون ما تقدم إثبات عداوة الكفـــار للنبي ﷺ، كان كأنه قيل تســـلية له وتثبيتاً لفؤاده: فقد جعلناهم أعداء لك لأنك عالم،

راشـــد العازمي ، (الطبعة الأولى)، ٢٠١٣م، الرياض: دار الصميعي ،١/ ٦٨-٦٩.

(١) الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الوفاء، صفحة ٤٣١/١.

والجاهلون لأهل العلـــم أعداء {وكذلك} أي ومثل مـــا جعلنا لك أعداء من كفار الإنس والجن {جعلنا لكل نبـــي} أي ممن كان قبلـــك، وعبر عن الجمع بالمفـــرد - والمراد به الجنس - إشـــارة إلى أنهم يد واحـــدة في العداوة فقال: {عدواً} وبين أن المراد به الجنس، وأنهم أهل الشر فقال مبدلاً: {شـــياطين} أي أشرار {الإنـــس والجن} المتمردين منهم، وربما استعان شيطان الجن شيطان الإنس لقرب قلبه منه، أم يكـــون نوعه إليه أميل، وأشـــار إلى هوان أمرهم وسوء عاقبتهم بقوله: {يوحي بعضهم} أي الشياطين من النوعين {إلى بعض} أي يكلمه في خفاء {زخرف القول} أي مزينه ومنمقه)[1].

لذلك ســـابين الدوافـــع الحقيقية من محاولات التصفيـــة الجســـدية لاولي العزم من الرســـل في المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الجهل وتحكّم الهوى**

ان من أبرز الدوافع التي دفعت الأقوام لمواجهة دعوات الرســـل عليهم السلام؛ هو الجهل وتحكم الهـــوى، لأن المجتمعات التـــي لم تحظ بوصول رسالة أو رسول إليهم ولم يدينوا بدين، يعيشون في بيئة متخلفة يُعشِّـــش على عقولهم الجهل، وتعبث بهم الأهواء والشـــياطين ، مما ينعكس ســـلبا على عـــدم اســـتجابتهم وقبولهم لأي دعـــوة إصلاح أو تغيير، وهذا ما نجده في القرآن واضحاً في بيان هذه الأسباب.

فقد عرّف الجرجاني الجهل بأنه: (اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، وهو على قسمين: الجهل البســـيط: وهو عدم العلم عما من شـــأنه أن يكون عالما، والجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع)[2].

يتبين لنا من خلال التعريف أن الجهل يعد سبباً رئيساً من أســـباب التصدي لدعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، ويتبين ذلك واضحاً من خلال دعوة شعيب عليه الســـلام لقومه حين دعاهم إلى توحيد الله تعـــالى، والالتزام بشرعه، فصدوا وأعرضوا عنه وواجهـــوه بعبـــارات تنم عن جهـــل متأصل فيهم، حتى وصفوا نبيهم بأن الآلهة سلبت عقله وأصابته بالجنون لبعدهم عن دعوات الأنبياء والرسل عليهم الســـلام، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُـــعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ [هُود الآية ٩١] ، ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَـــكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾ [هُود من الآية ٥٣ الى الآية ٥٤] .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) ١١٣/٣.

(٢) التعريفات/ للجرجاني، ١٠٨/١.

قال أبو السعود :

(ولقد سلكوا في طريقة المخالفةِ والعناد إلى سبيل الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، حيث أَخبرَوا أولاً عن عدم مجيئِه بالبينة مع احتمال كونِ ما جاء به عليه الصلاة والسلام حجةً في نفسه، وإن لم تكن واضحةَ الدَلالة على المراد، وثانياً عن ترك الامتثالِ بقوله عليه الصلاة والسلام بقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هُود الآية ٥٣] مع إمكان تحققِ ذلك بتصديقهم له عليه الصلاة والسلام في كلامه ثم نفَوا تصديقَهم له عليه الصلاة والسلام بقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هُود الآية ٥٣] مع كون كلامِه عليه الصلاة والسلام مما يقبل التصديقَ ثم نفَوْا عنه تلك المرتبةَ أيضاً حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله أنى يؤفكون)[1].

وقد عانى الأنبياء والرسل عليهم السلام جاهلية الأقوام الذين بعثوا إليهم، لأنهم أعرضوا عن قبول دعوة الحق، فمن ذلك ما طلبته قريش من النبي ﷺ أن يعبد ما يعبدون، فأمره الله عز وجل أن يقول لهم: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّمَر الآية ٦٤] ، قال الفخر الرازي: (إنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقاً للأشياء وبكونه مالكاً لمقاليد السموات والأرض، وظاهر كون هذه الأصنام جمادات أنها لا تضر ولا تنفع، ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة، واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه، فلهذا السبب قال: {أَيُّهَا الجاهلون} ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع)[2].

- **المطلب الثاني: الحسد**

ان الحسد داء عضال، ومرض من أمراض النفوس، وهو قديم بقدم البشرية، تصاب به الأمم كما يصاب به الفرد، فيرسل الله الرسل لإنقاذ الأمم وعلاجها منه.

والحسد مدخل من مداخل الشيطان إلى القلب، فبالحسد لعن إبليس وجعل شيطانا رجيماً، ولقد ذم الله الحسد في القرآن الكريم وشدد النكير على من اتصف به قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفَلَق الآية ٥] ، قال ابن القيم رحمه الله: (وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود فنفس حسده شر يتصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه فإن الله تعالى قال ومن شر حاسد إذا حسد فحقق الشر منه عند صدور الحسد)[3].

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) ٣٦٠/٣.

(٢) التفسير الكبير مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري الطبرستاني الرازي، الملقب بفخر الدين، (ت:٦٠٦هـ) ط٤، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ٤٧١/٢٧-٤٧٢.

(٣) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز

فالحاسد عنده شيء من الاعتراض على أقدار الله التي قدرها على عباده، والحسد هو نتيجة من نتائج الحقد، وثمرة من ثمراته المترتبة عليه،فمن يحقد على إنسان فانه يتمنى زوال النعمة عنه، ويغتابه في المجالس، ويعتدي على عرضه ويشمت فيه. ورسل الله عليهم السلام، هم أول من عودوا، وتصدت لهم أقوامهم بهذا الخلق الذميم، حسدا من عند أنفسهم، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النِّسَاء الآية ٥٤].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ [النِّسَاء الآية ٥٤] (يعني اليهود، الناس، يعني النبيّ ﷺ خاصة، عن ابن عبّاس ومجاهد وغيرهما : حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به، وقال قتادة: الناس العرب حسدتهم اليهود على النبوة، الضحاك: حسدت اليهود قريشا لأن النبوة فيهم، والحسد مذموم وصاحبه مغموم، قال الحسن رحمه الله: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، نفس دائم وحزن لازم وعبرة لا تنفد، وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تعادوا نعم الله، قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)[1].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: (إياكم والحسَدَ فإن الحسدَ يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العُشبَ)[2].

فالحسد داء فتاك، أصيبت به الأقوام التي واجهت وتصدت للأنبياء وأتباعهم، فتصديهم كان من أسبابه الحسد الذي أكل قلوبهم، وهم ينظرون إلى الأنبياء وما آتاهم الله من فضله، واستجابة الناس لهم، لذلك هم يتمنون زوال نعمة الإيمان عن المؤمنين.

- **المطلب الثالث: العصبية لتراث الآباء والأجداد**

نشأت الجماعات البشرية القديمة بعائلاتها وقبائلها وأقوامها وشعوبها، ترى أن مصالحها لا تتحقق إلا بالتعاون المشترك، لذلك كانت ترى، حمايتها من عدوان خصومها ومنافسيها الطامعين بها، لا تتحقق ما لم يتناصر أفرادها فيما بينهم ضد أعدائهم أو خصومهم، لفرض سلطانهم عليهم، ومن هذا ظهرت الولاءات والانتماءات القبلية، والقومية والعرقية، التي لا تعتمد على مبادئ الحق والخير والفضيلة، وإنما تعتمد على مجرد التكتل الجماعي، والتناصر ولو بالظلم والعدوان، وظهرت

- مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا -عادل عبد الحميد العدوي- أشرف أحمد، ٤٥٤/٢.

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ط١ : ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٦٢/٥- ١٦٣.

(٢) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢٧٦/٤.

العصبيات التي تبدأ بالعصبية للآباء والأجداد[١].

وتعد العصبية لتراث من سبقهم من الدوافع الرئيسة في مواجهة الرسل عليهم السلام ودعواتهم؛ لأن الأبناء والأجيال التي تربت على ذلك التراث، زرعت في نفوسهم العصبية وحمية الجاهلية، والمناداة لتراث الآباء والأجداد، فما من دعوة للإصلاح أو التغيير إلا وكانت حجتهم أنهم وجدوا آباءهم على امة وهم على آثارهم يقتدون قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزُّخرُف الآية ٢٣] .

يقول الأستاذ محمد عبده: (كان اكبر طاغوت تحارب به دعوات الرسل والأنبياء «عليهم الصلاة والسلام» هو طاغوت التقليد، والعادة المتبعة، وهي من اكبر العوامل في الصد عن دين الله، ومن الصعب على الإنسان الخروج من مألوفاته، وأن ذهاب روحه أهون عليه من تغييرها، إلا أن يدخل في قلبه ما يقتلعها، وقد أشار القرآن الكريم إلى مرض تقليد الآباء في الباطل من الأمم السابقة)[٢].

فالعصبية ممقوتة بكل أشكالها، يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: (المقصود بالعصبية التناصر بالحق وبالباطل لاشتراك المتناصرين بالنسب أي نسب القبيلة أو السلالة أو الأسرة، وكان هذا المفهوم للعصبية هو الشائع عند العرب قبل الإسلام، فكان أفراد القبيلة ينصر بعضهم بعضاً في الحق وفي الباطل لانتسابهم إلى قبيلة واحدة. وقد أنكر الإسلام هذه العصبية، وأمر بنبذها)[٣].

انما أوقع الكفار في هذا التقليد المنحرف هو استدراج الشيطان لهم من خلال فطرة مركوزة في الإنسان أصلا، تدعوه إلى الوفاء للآباء والأجداد وتربطه بتاريخه وتراثه، وهذه من أعظم وسائل الشيطان في الكيد: أن يأتي الإنسان من قبل غريزة مطبوعة فيه، من حيث الشهوة والوطن والمال وغيرها [٤].

- **المطلب الرابع: حب السلطة والجاه والمال**

تعد رسالة الأنبياء والرسل -عليهم السلام- واحدة في موضوعها ومنبعها، ألا وهي دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته ونبذ عبادة غيره، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأَنبِيَاء الآية ٢٥] فبعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام ليخرج بهم الناس من

(١) ينظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار القلم ، دمشق، ١/٥٥٨-٥٥٩.

(٢) الطريق إلى المدينة، محمد عبده ، ط١، ١٩٩٩م، دار الجوهرة عمان ص٤٣.

(٣) أصول الدعوة، ١/١١١.

(٤) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلابي، ط٢، ٢٠٠٥ دار ابن كثير، بيروت ج١ ص٢٣٥.

ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن الأهداف الستراتيجية للمتصدين لدعوة الأنبياء والرسل هو إجهاض الدعوة والقضاء عليها ، لأنهم يرون في دعوة الأنبياء تهديدا لمصالحهم ومكانتهم ووجاهتهم، فيريدون أن يوقفوا هذه الدعوة ويطفئوا نورها بجهلهم وشركهم وبأقوالهم التي لا تستند إلى أقل دليل وبباطلهم الذي لا يقوى أن يقف أمام الحق، كما قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصَّف الآية ٨] .

قال ابن كثير : (يقول تعالى: يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب {أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ} أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر؛ ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما رامه وأرادوه: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التَّوْبَة الآية ٣٢] والكافر: هو الذي يستر الشيء ويغطيه، ومنه سمي الليل «كافرا»؛ لأنه يستر الأشياء، والزارع كافرا؛ لأنه يغطي الحب في الأرض)[1].

والذي يستقري سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يجد هذا الدافع في محاولة إطفاء نور الدعوة واضحاً، من خلال تصدي الأقوام لأنبيائهم، فأول من يتصدى لدعوتهم هم الملأ من القوم، أصحاب الزعامات وأصحاب المصالح الدنيوية.

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم، ١٣٦/٤.

المبحث الثالث

إقدام الكافرين على قتل أولي العزم

اقتضت حِكمة الله تعالى أنْ يبتلي أنبياءَه ورسلَه بأنواعٍ شـتَّى من الإيذاء على يـد أعدائهم؛ ليكونوا قدوة لأتباعهـم في الصبر على الإيذاء في سـبيل دعوتهم، فعن سعد ابن ابي وقاص - رضي الله عنه - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَـدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»[(١)].

لذلك ساذكر محاولات التصفية الجسدية لاولي العزم الكرام من المرسـلين من خـلال المطالب التالية:

- **المطلب الاول : نبي الله نوح -عليه السلام- :**

بعث الله نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سـنة إلا خمسـين عاما يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعـاصي، وكثرت فيهـا الجبابرة، وعتوا على الله عتوا كبيرا، وكان نوح فيما يذكر أهل العلم حليما صبورا [(٢)].

وذكر ابن كثير في تفسيره: (إنما سُمِّيَ نوحًا لكثرة ما ناح على نفسـه). وقد كان بين آدم إلى زمان نوح عليهما السلام عشرة قرون، كلهم على الإسلام[(٣)] .

لم يتعرض سـيدنا نوح للتصفية الجسـدية مثل بعض الانبياء والرسل بل تعرض لعناد قومه وكبرهم عليه رغم محاولة في الدعوة لاكثر من تسعمائة سنة وبكل الطرق مثل ما صورتها سورة نوح وهي تصور الجهد الدائب الذي لا ينقطع: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ [نُوح الآية ٥] . ولا يمل ولا يفتر ولا ييئس أمام الإعـراض والإصرار: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نُوح الآية ٦] .. فرارا من الداعي إلى اللـه. مصدر الوجود والحيـاة، ومصدر النعم والآلاء، ومصدر الهدى والنور. وهو لا يطلب أجرا على السـماع ولا ضريبة على الاهتداء! الفرار ممن يدعوهم إلى الله ليغفـر لهم ويخلصهم من جريرة الإثم والمعصية والضلال! فإذا لم يستطيعوا الفرار، لأن الداعي واجههم مواجهة، وتحين الفرصة ليصل إلى أسـماعهم بدعوته، كرهوا أن يصل صوته إلى أسـماعهم. وكرهوا أن تقع عليه أنظارهم، وأصروا على الضلال، واسـتكبروا عن الاسـتجابة لصوت

(١) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، (٢ /٦١٣)، (ح٢٥٧٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٩٦٩/٦ .

(٣) تفسـير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القـرشي البصري ثم الدمشـقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سـامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م : ٤٣١/٣ .

الحق والهدى ﴿كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نُوح الآية ٧] .. وهي صورة لإصرار الداعية على الدعوة وتحين كل فرصة ليبلغهم إياها وإصرارهم هم على الضلال. تبرز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة. تبرز في وضع الأصابع في الآذان، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب. والتعبير يرسم بكلماته صورة العناد الطفولي الكامل، وهو يقول: إنهم «جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ» وآذانهم لا تسع أصابعهم كاملة، إنما هم يسدونها بأطراف الأصابع. ولكنهم يسدونها في عنف بالغ، كأنما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم ضمانا لعدم تسرب الصوت إليها بتاتا! وهي صورة غليظة للإصرار والعناد، كما أنها صورة بدائية لأطفال البشرية الكبار! ومع الدأب على الدعوة، وتحين كل فرصة، والإصرار على المواجهة.. اتبع نوح- عليه السلام- كل الأساليب فجهر بالدعوة تارة، ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نُوح من الآية ٨ الى الآية ٩] (١).

- **المطلب الثاني – نبي الله إبراهيم -عليه السلام-**

كانت مدّة حياة إبراهيم -عليه السلام- مائة وخمسا وسبعين سنة، فلما حاج إبراهيم عليه السلام الملك نرمود وكسر الاصنام، أضرم الملك له نارا عظيمة وألقاه فيها، فجعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما، واتت ريح فنسفت النار في وجوه الواقفين مع الملك كذلك. (٢)

لقد عانى إبراهيم -عليه السلام- في مرحلة الدعوة إلى الله من قومه معاناةً شديدة، ومما زاد معاناته وعذابه أنَّ والده كان يُناصر قومه عليه ويُجاهره العداء، فقد هدده بالرجم كما جاء في كتاب الله إن لم ينتهِ عما يدعو إليه من نبذ آلهته والإيمان بالله، كما أن قومه قاموا بتسفيهه ، وتحقير ما يدعو إليه والتقليل من شأنه، ولكنه صبر وتحمَّل كلَّ ذلك في سبيل الدعوة، حتى أقدم قومه مجتمعين على حرقه، وأعدوا لذلك العُدة إلا أنّ إرادة الله حالت دون ذلك، ومع كل ذلك فإن إبراهيم لم يرجع عن رسالته، ولم يقف عن السير في دعوته، بل صبر واحتسب وأوكل أمره لله، وفوّض أمره له، حتى نجاه الله من قومه وجعله كليمه' ولما تفوق إبراهيم عليه السلام بحجته الدامغة على قومه، وظهر الحق، وبان زيف الباطل، لجؤوا إلى الإيذاء والإضرار، والتخلص من إبراهيم جسديا، فقال بعضهم لبعض، والقائل هو نمروذ بن كنعان، أو رجل من أتباعه: احرقوا إبراهيم بالنار، وانصروا آلهتكم إن كنتم ناصريها حقا، فجمعوا حطبا كثيرا، ورموا إبراهيم من أعلى منجنيق، بعد أن شدّ برباط،

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ : ٣٧١٨/٦ .

(٢) أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران : ١٠٣/١ .

ووضع في كفة المنجنيق، ثم ألقي في النار.ولكن الله غالب على أمره، وقاهر كل شيء، وحافظ رسوله ونبيه، فحماه وعصمه من أذى النار، وسلب تأثير النار فيه، وقال: ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء الآية ٦٩] أي كوني بردا غير ضار، فكانت النار وسطا لا حامية ولا باردة، ولو قال: (كوني بردا) فقط، ولم يقل: (وسلاما) لكان بردها أشد عليه من حرها. وبرودتها حدثت بنزع الله عنها طبعها من الحر والإحراق، بعد أن احترق الحبل الذي ربط به إبراهيم فقط، وبقيت إضاءة النار وإشراقتها واشتعالها كما كانت، والله على كل شيء قدير [١].

- **المطلب الثالث- نبي الله موسى -عليه السلام-**

لقد حاول فرعون تشويه صورة موسى في أذهان الناس، فاتهمه بالسحر، ليصرف الناس عن رسالته، وحين لم تنفع كل الأساليب لوقف دعوة الله، لجأ فرعون إلى الأسلوب الأخير، وهو محاولة قتل موسى، ففرعون يعدّ نموذجا بشريا مكررا بأسلوبه، وفكره، وشعوره، رسمت ملامحه وصفاته وهو في ذروة قوته وسلطته، وأسلوبه في التعامل مع الناس من منطق القوة والسلطة، ثم في أسلوبه في التعامل مع الحق ودعاته، فهو يرفض أيّ حق يأتيه، لأنه يرى فيه تهديدا لسلطته، فهو لا يخضع للحق كالآخرين، بل يريد أن يخضع له أشخاصا ومبادئ، وهذا هو أبشع الطغيان يتمثّل في قوله: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي[٢].

فلهذا أمر الله نبيه موسى، أن يخرج بعباده، بني إسرائيل من مصر، إنقاذًا لهم من الاستعباد والأذى، عَنِ السُّدِّيِّ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَخْرُجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الدُّخَان الآية ٢٣] ، يَقُولُ طَرِيقًا كَمَا هُوَ، فَأَمَرَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَخْرُجُوا، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعِيرُوا الْحُلِيَّ مِنَ الْقِبْطِ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُنَادِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ صَاحِبَه، وَأَنْ يَسْرُجُوا بِيُوتَهُمْ حَتَّى الصُّبْحِ، وَأَنَّ مَنْ خَرَجَ يَلْطَخُ أَمَامَ بَابِهِ بِكَفٍّ مِنْ دَمٍ، حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ كُلَّ وَلَدِ زِنًا فِي الْقِبْطِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، وَأَخْرَجَ كُلَّ وَلَدِ زِنًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْقِبْطِ إِلَى الْقِبْطِ، حَتَّى أَتَوْا آبَاءَهُم، ثُمَّ خَرَجَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلا وَالْقِبْطُ لَا يَعْلَمُونَ، وَقَدْ دَعُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى الْقِبْطِ، فَخَرَجَ فِي قَوْمِهِ وَأُلْقِيَ عَلَى الْقِبْطِ الْمَوْتُ، فَمَاتَ كُلُّ بِكْرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا يَدْفِنُونَهُمْ، فَشُغِلُوا، عَنْ طَلَبِهِمْ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ[٣].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ : ١٥٩٦/٣.

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن : عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م : ٣١٧/١ .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم ، (٢٧٦٨/٨).

وقال فرعون كما ذكر الله على لسانه في القران الكريم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥﴾ [الشُّعَرَاء من الآية ٥٤ الى الآية ٥٥]، والَشِرْذِمَة: طائفة. قَلِيلُون: قللهم بالنظر إلى كثرة جيشه، قيل: كان بنو إسرائيل ست مائة وسبعين ألفا، ومقدمة جيش فرعون سبع مائة ألف، كل رجل على حصان، وعلى رأسه خوذة، أما الجيش فهو مليون وخمس مائة ألف، والتحديد بهذه الأعداد محل نظر لم يثبت، ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٥٥] أي لفاعلون ما يغيظنا. ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٥٦] وإنا لجميع مستعدون في حذر وحزم في الأمور[1].

﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾ [الشُّعَرَاء من الآية ٦٠ الى الآية ٦٣]، أما قوله: ﴿فَأَتۡبَعُوهُم﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٦٠] أي: فلحقوهم وقرئ: (فاتبعوهم) مُشْرِقين، داخلين في وقت الشروق، من أشرقت الشمس شروقاً إذا طلعت .

أما قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٦١] أي: رأى بعضهم بعضا، قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٦١] أي: لملحقون ، وَقَالُواْ يا مُوسَى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٢٩] كانوا يذبحون أبناءنا من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئتنا يدركوننا، أي: في الساعة فيقتلوننا، والمعنى: إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد، فعند ذلك قال لهم: كلا ، وذلك كالمنع مما توهموه، ثم قوى نفوسهم بأمرين، أحدهما: إِنَّ مَعِي رَبِّي، وهذا دلالة النصرة والتكفل بالمعونة. والثاني: قوله سَيَهْدِينِ والهدى: هو طريق النجاة والخلاص، وإذا دله على طريق نجاته وهلاك أعدائه فقد بلغ النهاية في النصرة[2].

فدعا موسى ربه فغشيتهم ضبابة حالت بينهم وبين فرعون، وقيل له: اضرب بعصاك البحر، ففعل ﴿ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٦٣] يعني الجبل، فانفلق منه اثنا عشر طريقا، فقالوا: إنا نخاف ان توحل فيه الخيل، فدعا موسى ربه فهبت عليهم الصبا فجف، فقالوا : انا نخاف ان يغرق منا ولا نشعر، فقال بعصاه فنقب الماء، فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر، وأقبل فرعون حتى انتهى إلى الموضع الذي عبر منه موسى وطرقه على حالها، فقال له أدلاؤه: إن موسى قد سحر البحر حتى صار كما ترى وهو قوله: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ [الدُّخَان الآية ٢٤] ، يعني كما هو، فحذ ههنا حتى

(١) ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، (١٩٥/١٩) .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ، للرازي ، (١١٩/٢٤) .

نلحقهم، وهو مسيرة ثلاثة أيام في البر[١].

قالَ اللَّهُ تَعَالَىَ:﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [طه الآية ٧٧] وَقَالَ فِي هذه القصة: ﴿ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٦٤] قالَ ابْنُ عَبَّاس: وَأَزْلَفْنا أي: قربنا من البحر فرعون وجنوده وَأَدْنَيْنَاهُمْ إِلَيْه، ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾ [الشُّعَرَاء من الآية ٦٥ الى الآية ٦٦] أَي: أَنْجَيْنَا مُوسَى وَبَنِي إسرائيل ومن اتبعهم عَلَى دِينِهم ، فَلَمْ يَهْلَكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَأُغْرِقَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا هلك[٢].

لقد وصف الله ساعة احتضار الموت للطاغية فرعون وصفا مثيرا ومشوقا للاعتبار والتدبر وعدم الغرور والتجبر، عندما شعر فرعون ان الغرق لحقه، والموت قد اقترب منه، وقد صحى من غروره وندم على فجوره، وأَعلن إيمانه فيما حكاه القرآن عنه بقوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾ [يُونُس الآية ٩٠] .

يقول ابن عباس- رضي الله عنهما- : لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به ، وقد كان في مهل، فإيمانه غير مقبول، وذلك إنما آمن عند نزول العذاب والإيمان في هذا الوقت غير مقبول ؛ لأن عند نزول العذاب يصير الحال وقت الإلجاء، وفي هذا الحال لا تكون التوبة مقبولة ، ولهذا السبب قال تعالى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ [غَافِر الآية ٨٥] [٣] .

- **المطلب الرابع: نبي الله عيسى -عليه السلام-**

ذُكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وشُرح أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام، وبُيّن أنه ما حصل لهم ذلك المقصود، وأنه حصل لعيسى أعظم المناصب وأجل المراتب، بيّن تعالى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداوته لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به فقال: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته[٤].

وقصة تصفية عيسى عليه السلام انه قال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه، فاقتله، فدخل الرجل الخوخة، فلم يجد هناك عيسى، وألقى الله عليه شبه عيسى- عليه السلام- فلما خرج رأوه على شبه عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا: وجهه يشبه وجه عيسى، وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا، وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى، فوقع بينهم قتال، فقتل

(١) ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار هجر – مصر ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، (٢٦٦/١١) .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٣٠/٦ - ١٣١) .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب ، للرازي ، (١٢٤/١٧) .

(٤) مفاتيح الغيب التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ: ٢٦٣/١١.

بعضهم بعضاً[١].

مع العلم ان سيدنا عيسى عليه السلام لم يُصلَب، كما إدّعى اليهود، بل توفّاه الله ورفعه إليه، واخرجه من بينهم ونجاه منهم[٢]، فقد طهَّره الله من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه[٣]، فما قتلوه، كما زعموا تبجحاً بالجريمة، وما صلبوه كما ادّعوا وشاع بين الناس ولكن شبّه لهم ... فظنوا أنهم صلبوا عيسى، وإنما صلبوا غيره[٤]. فأطاعوا عقولهم، واتَّبعوا مخيلتهم، فقد اختاروا لأنفسهم الشقاء.والوفاة تأتي على معانٍ ذكرَها إبن تيمية رحمه الله، فقال: (ولفظ التوفيِّ في لغة العرب معناه: الاستيفاء، والقبض، وذلك على ثلاثة أنواع: توفي النوم، وتوفي الموت أي تموت الأجساد، وهو حال كل انسان وتوفي الرُّوح والبدن جميعاً كما قبض الله اليه عيسى عليه السلام حياً بروحه وجسده فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب واللباس، ويخرج منهم الغائط والبول، والمسيح عليه السلام توفّاه الله وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض، ليست حاله كحالة أهل الأرض في الأكل والشرب واللباس والنوم والغائط والبول ونحو ذلك)[٥]. وهذا الأخير هو القول الذي استقرت عليه أكثر الآراء[٦]، ففي كل الأحوال تكون عناية الله تعالى قد أحاطت به، فأبعد يد أعدائه من الكفار عنه.

وقد رفع الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من عمره، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه، قال: ((رُفِعَ عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة)) [٧].

(١) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) ط١، ٢١٧/١ .

(٢) ا لكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م: ٣/ ٨٣ .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٦/ ٤٦٢ .

(٤) تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م: ٦/ ١٦ .

(٥) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: لتقي الدّين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: د. محمد السيد الجليند: ٩٦/٢ .

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٦/ ٤٦٠ ، وتفسير القرطبي: ٤/ ٩٩ ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٦/ ١٣٠ ، والتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) : ٣/ ٤٦٢ ، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ١٩٤/١ .

(٧) المجالسة وجواهر العلم: لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت : ٣٣٣هـ) ، تحقيق: أبو عبيدة

تتجلى عناية الله تعالى بنبيه عيسى عليه السلام، الذي أرسله ليبلغ قومه ويدلّهم على الحق، فأرادوا به كيداً وقتلاً لكن الله خذلهم، فأحاط الله نبيه عليه السلام بعنايته، وحفظه من كيدهم ومكرهم، فكان الله لهم بالمرصاد، وعَلِم ما يُبيتون من نياتهم السيئة الخبيثة، فرفعه من بين أيديهم الماكرة الخبيثة وهم يريدون المكر به، أي: يُدبّر ما يُبطِل مكرهم، والله أعظم منهم تأثيرا، وأن المتقي يجعل الله له فرقاناً ومانعاً يمنع من الإجتراء عليه، ويحفظه من مكر الذي يريد أن يمكر به، بل يمكر الله بهم[1]. كل هذا الدفاع من الله يحصل للمتقي، فكيف إذا كانَ نبياً مرسَلاً من الله، وسيدنا عيسى عليه السلام قد أحاطه الله بحفظه ورعايته.

- **المطلب الخامس: رسول الله وخاتم النبيين ﷺ**

تعرض النبي ﷺ للإيذاء الجسدي على يد السفهاء من الكفار والمشركين وهو صابر مُحتَسِب، فمن أجل إيصال الدين إلينا تحمَّل أشدَّ أنواع الإيذاء، ومن ذلك محاولة أبي جهل قتل النبيّ صلوات ربي وسلامه عليه، فقد عقد أبو جهلٍ اجتماعاً مع قومه ذات يوم يخبرهم فيه عن أفعال النبيّ محمد -عليه الصلاة والسلام-؛ من تسفيهٍ لآلهتهم، وتعييب لدينهم، ورأى أنّ قتلَ الرسول خير فعل؛ للتخلُّص ممّا جاء به، وعاهدهم على قتله، فأتى إلى رسول الله وهو يُصلّي، وأخذ يراقبه من بعيد، وعندما سجد، ووضع جبهته على الأرض، أخذ أبو جهل حجراً يُحاول أن يرميَه عليه، إلّا أنّ الله منعَه، وأنقذ نبيّه الكريم من غدره، ونجّاه من شرّه[2].

ومن الصور الاخرى التي تعرض لها رسول الله ﷺ عندما امر أبو جهل بن هشام أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابًّا جلَداً نسيباً وسيطًا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عوف عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقْل فعقلناه لهم، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له، فأتى جبريل رسول الله ﷺ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه): «نم على فراشي وتسَجَّ ببرُدَي هذا الحضرمي الأخضر فنم عليه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم». وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا

مشهور بن حسن آل سلمان: ٢٤١/٦ ، برقم: ٢٥٩٩ . وأخرجه الحاكم في المستدرك، وزاد فيه: ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة t: ٣/ ٣٠٢ ، برقم: ٥١٧٣، وسكت عنه الذهبي.

(١) ينظر: حاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ: ٥/ ٢٨٢ .

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، محمد أبو شهبة، (الطبعة الثامنة)، دمشق: دار القلم، ١/ ٢٩٥ .

نام، ونجى الله رسوله من كيد الكافرين،

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ [الأنفال الآية ٣٠] (١).

فما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله ﷺ في مواجهة ما صار إليه من غلبة عليهم، لا مجرد النجاة منهم! لقد كانوا يمكرون ليوثقوا رسول الله ﷺ ويحبسوه حتى يموت أو ليقتلوه ويتخلصوا منه أو ليخرجوه من مكة منفيا مطرودا.. ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعا ليتفرق دمه في القبائل ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر(٢).

وفي قَوْلُهُ تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ [المَائِدَة الآية ١١].

قال مجاهد وعكرمة،: أنها نزلت في شأن بني النضير، حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله ﷺ الرحى، لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين، ووكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك، وأمروه إن جلس النبي ﷺ تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقي تلك الرحى من فوقه، فأطلع الله رسوله على ما تمالؤوا عليه، فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه، فأنزل الله تعالى في ذلك: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون} ثم أمر رسول الله ﷺ أن يغدو إليهم فحاصرهم، حتى أنزلهم فأجلاهم، وقوله تعالى: {وعلى الله فليتوكل المؤمنون} يعني: من توكل على الله كفاه الله ما أهمه، وحفظه من شر الناس وعصمه، ولذلك عصم الله رسوله من القتل حتى يبلّغ رسالة ربه، قال تعالى: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ [المَائِدَة الآية ٦٧] قال سفيان الثوري:معناها بلّغ أنت رسالتي، وأنا حافظك، وناصرك ومؤيدك على أعدائك، ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك(٣).

ومن صور محاولات التصفية الجسدية له -عليه الصلاة والسلام- ان اليهود قد وضعوا في شاة مصلية أهدتها يهودية لرسول الله ﷺ سمًّا لتقتله، فلما سألهم عما حملهم على ذلك قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك، وإن كنت صادقًا لم يضرك، ولما سأل المرأة قالت: ردت قتلك، فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك، فقد عصم الله رسوله أن يقتله السم.(٤)

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ١/ ٣٠١ .
(٢) ينظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٥٠١)
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٣)
(٤) ينظر : الابتلاء والمحن في الدعوات، الدكتور محمد

ومنارا يستضئ به الداعون الى الله على مر الدهور وكر العصور.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

بعد هذه الرحلة الممتعة الشيقة الخص اهم نتائج هذا البحث بما ياتي:

١- ليس للاعداء حجّة على الرسل، إلا أنهم آمنوا بالله وحده، ودعو لعبادته، والانقياد لامره.

٢- استخدم المشركون على مدى العصور السابقة انواعا متعددة من اجل الصد عن الدعوة الى سبيل الله من قبل انبيائه وخاصة اولي العزم منهم، حتى وصلت محاولة القتل او الحرق او النفي في حق انبياء الله، وجاءت هذه المحاولات بعد تقديم الانبياء الحجج الدامغة والمعجزات الالهية، ومع ذلك اصر الكفار على محاربة اولياء الله .

٣- لم يدع المشركون وسيلة عدائية لجهاظ الدعوة الى الله الا وسلكوها.

٤- لقد خابت كل محاولات اطفاء نور الله ودعوته، فلم تفلح محاولات كسر شوكة الدعوة والدعاة.

٥- لقد اصبحت هذه المسيرة الظافرة، مسيرة الدعوة الى التوحيد والعدل نبراسا يحتذى به،

* * *

عبد القادر ابو فارس، دار الفرقان،/ ١٣٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط : مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، : ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣. أقوال العلماء في اسم أم موسى"، إسلام ويب، ٢٠٠٣/١٠/٣٠، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠١٧/٢/١٧ .

٤. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) ط١، بيروت .

٥. البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٦. البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

٧. بعض الدروس المستفادة من حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام"، طريق الإسلام ، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠١٧/٤/٢٧. بتصرّف.

٨. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٩. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ .

١٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١١. تفسير القرآن العظيم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) ، تحقيق: أسعد محمد الطيب. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

١٢. تفسير القرآن الكريم: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: ١٤١٩هـ) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

١٣. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر: الأستاذ الدكتور مأمون حموش الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

١٤. تفسير المنار: : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٥. التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ .

١٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى .

١٧. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، دار الكتب العلمية .

١٨. تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، (الطبعة الرابعة عشر)، الكويت: دار البحوث العلمية، بيروت .

١٩. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢١. دعوة الرسل عليهم السلام ، أحمد أحمد غلوش ، (الطبعة الأولى)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٧. بتصرّف.

٢٢. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: لتقي الدّين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: د. محمد السيد الجليند.

٢٣. الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الوفاء .

٢٤. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى

(المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٢٥. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ،محمد أبو شهبة، (الطبعة الثامنة)، دمشق، سوريا : دار القلم.

٢٦. فتح المجيد" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ) المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة ، ١٩٥٧م.

٢٧. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .

٢٨. قصة نوح عليه السلام كما يصورها القرآن الكريم ،علي عبدالله طوبجي ، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

٢٩. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٣٠. الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير ، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتاب العربي .

٣١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٢. اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون ، موسى بن راشد العازمي ، (الطبعة الأولى)، ٢٠١٣م، الرياض: دار الصميعي.

٣٣. المجالسة وجواهر العلم: لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت : ٣٣٣هـ) ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مطبعة الباب الحلبي، سوريا .

٣٤. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدّين النسفي (ت: ٧١٠هـ) ، تخريج وتحقيق: يوسف علي بديوي، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .

٣٦. المعارف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢ م .

٣٧.مفاتيح الغيب التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

٣٨.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، ط١، بيروت - لبنان .

٣٩.وظيفة الصورة الفنية في القرآن : عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

❊ ❊ ❊